واجهنا تصميمًا لا يلين

أستطيع أن أؤكد لحضرات القراء أننى عنيت بالكتاب الأخضر المصرى الشامل لمحاضر المحادثات السياسية، والمذكرات المتبادلة بين حكومتنا المصرية الوفدية والجانب البريطانى فيما بين مارس سنة 1950 ونوفمبر سنة 1951، عنيت باستقراء هذا الكتاب عند ظهوره ورجعت إليه مرارًا، ولقد أشدت بحق بموقف الحكومة المصرية فى يوم 6 أغسطس الماضى من فوق منبر البرلمان تقديرًا للجهود التى بذلتها واعترافًا بأمانتها فى أداء رسالتها بتعبيرها للجانب الآخر فى صراحةٍ ووضوحٍ عن أهداف البلاد القومية، واعترافًا لها بقوة حجتها وشديد تمسكها وصلابتها.

ولذلك يأخذنى العجب من تلك الأحاديث التى تنشرها جريدة «الأهرام» بقصد التهوين من تلك الجهود والتشكيك فى وطنية رفعة مصطفى النحاس باشا، ولقد قلت فى كلمتى بالأمس إننى لا أستطيع كمواطن تبين الغرض من هذه الحملة ولا اكتشاف الهدف الذى ترمى إليه، وطالبت بألا يصرفنا أحد عن الحاضر بالحديث عن الماضى خصوصًا والشعب يعرف عن الماضى كل خباياه جملة وتفصيلًا ويعرف موقف مصطفى النحاس ووزير خارجيته ووزارته كلها مع الإنجليز مما لا محل لشرحه ولا لإعادة الحديث فيه.

بعد هذا أضع أمام القراء بيانًا منقولًا بالحرف الواحد عن الكتاب الأخضر ألقاه زعيم مصر على مسمعٍ من الفيلد مرشال سليم فى أول اجتماع لهما فى يوم 5 يونيه سنة 1950 وهو واردٌ بالصفحة رقم 15 من الكتاب المشار إليه.

رفعة النحاس باشا – أود أولًا أن أشكر سعادة الفيلد مارشال على هذه الثقة

ولكنى أعلم علم اليقين بصفتى زعيمًا للشعب أنَّ الشعب حانق ناقم ولا يمكن أبدًا أن يركن لوعودٍ جديدة أو يقبل نظريات مستحدثة ترمى فى النهاية إلى بقاء قوات أجنبية فى مصر تحت أى اسم أو بأية صفة، ولا يمكننى قط أن أقتنع أو أقنع الشعب أن بقاء جيش أجنبى فى بلادنا فى وقت السلم يعنى شيئًا آخر غير نوعٍ من أنواع الاحتلال والانتقاص من السيادة، ولقد قاسينا كثيرًا من التجارب المريرة المتكررة الماضية، إذ وقفت إلى جانبكم ووجهت الشعب إلى أن يبذل لكم كل معاونة مادية، ومعنوية فى الحرب الأخيرة، ولم أفعل ذلك طبقًا لمعاهدة سنة 1936 فحسب وإنما فعلته إيمانًا بقضية الحرية، وكان الشعب من ورائى يخدمكم ويضع مرافقه تحت تصرفكم ويساعدكم بقلبه وروحه كما فعل فى الحرب العالمية الأولى وأعطاكم محاصيله وسخَّر لكم سككه الحديدية ومواصلاته وسائر مرافقه فى سبيل خدمة قضية الحلفاء انتظارًا لتحقيق الوعود بالجلاء والاستقلال التام فلم يصدق أى وعد، ولا أستطيع أن أوافق سير وليم سليم على ما يقوله من قطع الصلة بين الماضى والحاضر فإنَّ الماضى ماثل أمامنا لا يمكن تجاهله أو نسيانه ويتلخص فى الاحتلال الطويل والوعود التى لم تتحقق، فكيف يمكننى أن أثق الآن أو أقبل نظرية جديدة لا تختلف فى نتيجتها عن تجارب الماضى.

ولعلَّ هذا الكلام واضح وضوحًا لا يقبل شكًا ولا تشكيكًا، واضح فى إصرار زعيم مصر ورئيس وزارتها حينئذٍ على أنه يريد لبلاده جلاء تامًا ناجزًا.

وفى صفحة 25 يجد المطلع كلمة قالها رفعة النحاس باشا وهى «أن الحكومة المصرية مستعدة لبحث أى مقترحات من الجانب البريطانى طالما أن أساسها الجلاء الناجز عن الأراضى المصرية».

وإذا أنت تعمَّقت فى الكتاب الأخضر وجدت بصفحة 124 فى أقوال المستر بيفن أثناء المحادثة التى دارت بينه وسعادة صلاح الدين باشا وزير خارجية مصر يوم 7 ديسمبر سنة 1950 فى وزارة الخارجية البريطانية وجدت أن مستر بيفن بدأ

يضيق بترديد عبارات الجلاء الناجز والوحدة، فقال ما نصه: «لأنَّ العبارة المصرية المعادة عن الجلاء ووحدة مصر والسودان لا تنهض أساسًا عمليًا يمكن البناء عليه».

وتجده فى صفحة 126 قد ضاق فعلًا فقال ما نصه: «إنَّ تكرار الحديث عن الجلاء يبدو كإنذارٍ نهائى، وهو يؤكد لوزير الخارجية المصرية أنَّ البرلمان البريطانى يعضده بالإجماع فى مقاومة ذلك».

وهل يحتاج القراء، أو المصريون عمومًا أو العالم كله إلي دليل على تشبث الوزارة الوفدية بالأهداف القومية وتمسكها بها تمسكًا ضاق به الإنجليز ذرعًا ملّوا منه وسئموا من أجله، ولعلَّ أبلغ ما قيل على لسان الساسة الإنجليز قول المستر موريسون وزير الخارجية البريطانية فى خطابه الذى ألقاه بمجلس العموم فى 30 يوليه عام 1951 مما اعتبرته مصر بحق إغلاقًا لباب المحادثات فإنَّ جنابه قد قال بالحرف الواحد (صفحة 216 من الكتاب الأخضر).. «وقد حاولنا أن نعالج مشاكلنا المشتركة بصبرٍ وإدراكٍ ولسوء الحظ أنَّ هذا الصبر وهذا الإدراك لم يلقيا التجاوب من الجانب الآخر فى جميع الأحوال، ولا نزال نواجه تصميمًا لا يلين على مطالب يغمض فيها الطرف عن حقائق اليوم».

وقد تكرر هذا القول بعبارة أشد فى البيان الذى أذاعته السفارة الإنجليزية على الصحف المصرية يوم 20 أغسطس سنة 1951 والإنجليز يحاولون أن يثنوا مصر عن عزمها على إلغاء المعاهدة وهم يلحون فى أنَّ الباب لم يغلق وأنه لايزال مفتوحًا أمام مصر إذا هى أرادت أن تلجه.

جاء فى بيان السفارة تصحيحًا أو توضيحًا لعبارة المستر موريسون أنَّه قال: «ومن سوء الحظ أنَّ صبرنا وإدراكنا لم يقابلا دائمًا بمثلهما وأننا لا نزال نواجه تصميمًا لا يلين على مطالب لا تمت بصلة إلى حقائق الوقت الحاضر».

فليفهم من شاء أن يفهم أنَّ كل محاولة للنيل من وطنية الوزارة الوفدية وموقفها من الإنجليز ومبلغ إصرارها على تحقيق أهداف البلاد قبل أن تعمد إلى

إلغاء المعاهدة وتتخذ مع المستعمرين هذا الموقف الجبار، إن هى إلا محاولات فاشلة كالنقش على الماء أو النفخ فى الحديد البارد. وليس فيها إلا مضيعة للوقت وخلق لجدلٍ لا طائل تحته، وصرف للبلاد عن الموقف الحاضر الذى لايزال غامضًا والذى يتعين على الوزارة أن تكشفه للناس والله يهدينا إلى سواء السبيل.